القيادة بقدر ما كان للظروف الموضوعية التي انشأت تلك القيادة وابتليت بها الثورات الفلسطينية .

ان الظروف المستجدة بعد الحرب العالمية الثانية ، وبروز الاتحاد السوفياتي كقوة كبرى على النطاق العالمي بعد ان أسهم بشكل رئيسي في القضاء على قوى الفاشية العالمية ، وتشكل المنظومة الاشتراكية ، أعطت دفعا قويا لحركات التحرر الوطني . وفي غضون عشرين عاما نشب العديد من الثورات الوطنية ونال اكثر من ٧٠ بلدا استقلاله، واقامت عدة بلدان في آسيا وامريكا اللاتينية انظمتها الاشتراكية . وليس من جديد القول أن كل هذا جرى بتأثير مباشر او غير مباشر لرياح ثورة اكتوبر التي اخذت تتحول بعد انتصارها على النازية الى اعصار يلف العالم كله .

والثورة الفلسطينية التي استندت للمعطيات العربية عند انطلاقتها ، لم تفتها التغيرات الثورية الجارية في كافة ارجاء المعمورة، ولم يغب عن بالها ما للدور السوفياتي من أهمية فعالة في كل ذلك .

صحيح ان رؤية الثورة لهذه التغيرات العاصفة لم تكن واضحة تماما في بادىء الامر، بسبب غياب المنهج العلمي في تفكير القادة الثوريين الذين فجروا الثورة في اصعب الظروف الذاتية بالنسبة للشعب الفلسطيني المشرد على اكثر من رقعة أرض ، الا ان شمس النضال كانت كفيلة في انقشاع الغلالة الضبابية التي كانت تغلف الرؤية الاولية فلقد كان يكفي في بادىء الامر ان تتوفر **الظروف الموضوعية** لنضوج الثورة ، **والاصالة الثورية** لتفجيرها . وما كان هذا ليعيب الثورة بقدر ما كان يشحذها للتعلم بشكل اسرع واعمق ، والانسان في ثورته لا يغير واقعه فحسب ، بل ويغير نفسه كذلك .

كانت الثورة من ناحية الفكر الاجتماعي الذي اخذ يغزو حركة التحرر العربية في الفترة الاخيرة ، متخلفة الى حد ما . ولكن الاسلوب المسلح الذي اعتمدته في النضال كان ذا مستوى أرفع من أساليب النضال الاخرى التي اعتمدتها حركة التحرر الوطني انطلاقا من ظروفها المختلفة . وكان من شأن هذا الاسلوب — الارقى — ان يرفع درجة التوتر في المواجهة الى الحد الاقصى ، وان يطرح قضايا يومية حادة تتطلب سرعة البت وايجاد الحلول ، وفي غياب النظرية الثورية لم يكن أمام الثورة سوى اسلوب التجربة والخطأ الذي اعتمدته القيادات الوطنية لحركة التحرر العربي . ولكن ظروف المقاومة وموقعها المتقدم في المجابهة المباشرة مع العدو ، وعمق اتصالها بالجماهير وتعاملها اليومي معهما ، لم تكن تسمح لها بالتمادي في استخدام هذا الاسلوب . كانت الثورة ملزمة اذ تجد نفسها في خط النار الاول وتتعامل مع قضية على مستوى الوجود والفناء، أن تكتسب الخبرة والوعي من أولى تجاربها ، وأن تشحذ حسها السياسي الى درجة مرهفة تستطيع معه تحليل الاحداث وتمييز الزيف من الحقيقة بسرعة العقل الالكتروني .

كانت الحقائق تتكشف أمام أعين الثورة ، رغم تعقيدات الوضع ، بأسرع مما كانت تتكشف امام القيادات الاخرى لحركة التحرر العربية . ولم يكن هذا ناتجا عن قصور لدى تلك القيادات بقدر ما كان نتيجة الفرق في المواقع وظروف النضال . لم يكن المقاتل الفلسطيني بحاجة لاكثر من تجربة وخطأ واحد ، لاكتشاف الرابطة العضوية بين الكيان الصهيوني والامبريالية العالمية ، أو التمييز بين الصديق والعدو على النطاق العالمي ، وهو يرى نفسه حاملا بندقية سوفياتية الصنع ، أمام دبابة صنعت في الولايات المتحدة .

كان التعلم يجري على الطبيعة وبالذخيرة الحية ! وكانت سطور كتاب الوعي لديه